يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

خطبة الجمعة للشيخ الفاضل

عبد الكريم بن قاسم الدولة (حفظه الله)

القيت فى مسجد خالد بن الوليد فى مدينة الحديدة
في تأريخ ١٥-٨- ١٤٣٨ هـ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نحمده تعالى ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه حَقّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنّ إِلّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمُ الّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتّقُوا اللَّه الّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللَّه وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الهدي هدي مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي اَلنَّارِ.

أيها المؤمنون عباد الله، يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

هذه الآية الله سبحانه وتعالى قالها في كتابه الكريم في سياق الكلام والحديث على آيات الصيام وفرض الصيام في شهر رمضان فقال الله عزوجل ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ أي فلتفهم ياعبدالله أن الله عزوجل ما أراد بفرض الفرائض ولا بإيجاب الواجبات ولا بتشريع الشرائع ولا بأمر الأوامر؛ إلا من أجل اليسر بك والرحمة بك فكان التشريع وكانت الفرائض وكانت الواجبات كلها قائمة ودائرة ومؤسسه على أساس اليسر والرحمة بهذا العبد الذي أوجده الله عزوجل من أجل أن يعبد الله سبحانه وتعالى وابتلاه الله عزوجل قبل أن يبتليه بالأمراض والأسقام والأوجاع قبل أن يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

ابتلاه الله عزوجل بالإنقياد له والتسليم لحكمه والرضا بشرعه سبحانه وتعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب هكذا ياعبدالله فلذلك جاءت الأوامر وجاءت النواهي وفرضت الفرائض وشرعت الشرائع على هذا الأساس أساس التيسير أساس الرحمة أساس الرفق بهذا العبد الذي خلقه سبحانه وتعالى إذاً فمهما كان من الأوامر ترى أن فيها كلف أو مشقة عليك فاعلم بأنها من باب التيسير من باب الرحمة لا يريد الله عزوجل أن يعنف أحدا

أو أن يشق على أحد قال الله عزوجل ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ وقال ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، الله عزوجل رفع الأغلال والآصار والآثام التي كانت على من كان قبلنا رفعها الله عزوجل علينا ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

أنت مولانا في شرعك أنت مولانا في أمرك أنت مولانا في نهيك أنت مولانا في صلاتنا لك في صيامنا من أجلك أنت مولانا في ظواهرنا وفي بواطننا أنت مولانا في عسرنا ويسرنا أنت مولانا في صحتنا وفي سقمنا أنت مولانا في غنانا وفي فقرنا أنت مولانا في خوفنا وفي أمننا أنت مولانا في سلمنا وفي حربنا أنت مولانا ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) ﴾، هكذا فلتعلم يا عبدالله مهما كان عليك من المشقة فإنما هو يسرٌ من الله سبحانه وتعالى﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (أي عدة رمضان) ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾

إذاً فالصيام ياعبدالله هو يسر هو تيسيرُ هو رحمة هو رزقُ هو من الله عزوجل منةً وفضل ياسبحان الله كما أن سبحانه وتعالى لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير

كما أن الله عزوجل لا يستطيع أحد في هذه الدنيا أن يراه وإنما رؤية الله عزوجل تكون في يوم القيامة لأهل التوحيد والإيمان والسنة والقرآن وتكون إذا دخل العباد إلى جنات النعيم وإلى النعيم المقيم تعبدنا الله عزوجل بهذه العبادة السرية التي هي سرٌ بين العبد وربه فإن العبد جميع أعماله وجميع الفرائض التي فرضت عليه ظاهره بادية تُرى وتشاهد وتلتمس لكن الله عزوجل خصك ياعبدالله بعبادة فيما بينك وبينه لا يمكن أن يطلع عليها أحد ولا يرى أثرها عليك أحد الصوم سِرٌ ما بين العبد وربه سبحانه وتعالى لذلك قال الله عزوجل في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به)، مع أن الصلاة له والحج له والعمرة له وقرآءة القرآن له والدعاء له و الاستغاثة به و الاستعانة به والتوكل عليه والرهبة منه والرغبة إليه سبحانه وتعالى وكل أعمالك له قال الله عزوجل: ﴿ قُلْ إِنّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

لكن قال الله عزوجل الصوم لي وأنا جزي به، فكما أن الصوم له أي سر فيما بينك وبينه ظمئت فلا أحد يعلم بظمئك جوعت لاأحد يعرف بمرارة الجوع ولا ألم الجوع ولاشدة الجوع ولا وطأة الجوع عليك مهما حصل لك فأنت صائم لله سبحانه وتعالى فقال الله في الحديث القدسي الصوم لي وأنا أجزي به كما أن هذه العبادة خفية جعل الله عزوجل الأجر عليها خفياً الرسول صلى الله عليه وسلم بين بأن صلاة الجماعة تفضل

على صلاة الفذ أي الفرد بسبع وعشرين درجة أو بخمس وعشرين درجة بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن من حج فلم يرفث ولم يفسق عاد من ذنوبه كيوم ولدته أمه بيّن الله عزوجل أن الصدقة والزكاة طُهرة لأصحاب الأموال من شح النفوس وطهرةً لأموالهم من أوساخها وشوائبها قال الله عزوجل

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ وقال الله عزوجل: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

والله يضاعف لمن يشاء لكن الله عزوجل قال لك يا أيها الصائم الصوم لي وأنا أجزي به، لايعلم الجزاء على هذا الصيام لا يعلم الأجور لايعرف مقدار الدرجات وعلو المنازل إلا الله سبحانه وتعالى.

إن ظمأك إن جوعك إن نصبك إن تعبك إن وصبك إن ألمك إن تكبدك إن تحملك لمشاق الصيام في شهر رمضان و خصوصاً مع ما تمر به البلاد ويعاني من العباد من الأزمات والكربات التي لافارج لها إلا الله سبحانه وتعالى هذا من الله عزوجل بمكان لن يضيع عرقك في نهار رمضان لن يضيع ظمؤك في نهار رمضان لن يضيع جوعك في نهار رمضان لن يضيع تعبك في نهار رمضان ستجد أجرك بالوفاء ستجد أجرك بالكمال ستجد

أضعاف ماكنت تتمنى وماكنت تحسب لماذا لأن أُس الصيام وقاعدته هي الصبر والأحتساب قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه)) والله عزوجل يقول عن أجر الصائم﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لايوزن لهم ولا يكال لهم وإنما يغرف لهم غرفا ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾ كما قال الله عزوجل وهو يذكر دخول الملائكة على أهل الجنة ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

هكذا ياعباد الله هكذا يا أيها الصائمون هكذا يا أيها المحتسبون سلامٌ عليكم في الدنيا سلامٌ عليكم إذا وسدتم في قبوركم سلامٌ عليكم إذا وقفتم يوم العرض على الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

سلامٌ عليكم إذا وزنت أعمالكم سلام عليكم إذا مررتم على الصراط سلام عليكم إذا دخلتم أبواب الجنة سلامٌ عليكم وأنتم بين الحور وفي داخل القصور تنعمون بجوار ربٍ غفور سبحانه وتعالى سلام عليكم الصيام سلام الصيام سلامة الصيام رحمة الصيام نعمة.

ألا فلا تدع للشيطان مجال ولا للشهوات وللشبهات مجال في أن تضيق عليك أو تخنقك في أداء هذه العبادة

فتأتي تقول الحر شديد الكهرباء لا توجد المصاريف الضيق إلى غير ذلك هذه كلها بقضاء وبقدر والله يقضي مايشاء والله يفعل مايشاء وربك يخلق مايشاء ويختار، اعزم النية واعقد النية على أن تصوم مهما كلفك الأمر لأن الله قال في عبادة الصيام

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ أي أن الله عزوجل يعلم انه سيأتي على الناس أوقات يكون فيها شهر رمضان في شدة الحر وقيض الشمس ومع ذلك قال الله يريد الله بكم اليسر الشرعي الإرادة الشرعيه فما دام الله عزوجل يخبرنا بأنه يريد بنا اليسر ومن أصدق من الله قيلا

ومن أصدق من الله حديثا فلا تصتصعب نفوسنا علينا الصيام ولاتغلبنا الشهوات فننتهك حرمة رمضان فيومئذٍ لاسلام لا في الدنيا ولا في الآخرة أقِدم على الله سبحانه وتعالى الذي قال عن الصيام

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) ﴾.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية:

الحمدلله وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد فياأيها الناس جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى من حديث البراء رضي الله تعالى عنه قال -اسمع يارعاك الله كيف كان أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يصومون في بدء فرض الصيام في أول ماكلفوا في أول مافرض عليهم أول ماكتب عليهم الصيام كيف كانوا يصومون -

قال كان أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يصومون رمضان فإذا جاء الإفطار -أي وقت المغرب- فنام أحدهم لم يكن يأكل ويشرب ليلته ويومه - معنى ذلك يا أيها المسلم أي كان يحرم عليهم إذا جاء وقت الإفطار وهم نائمون يحرم بان يأكلوا ويشربوا إلى مثلها من اليوم الثاني هذا كان في بداية التشريع في بداية الأمر في بداية الأجور، تصور مع أعمالهم مع مشقتهم كانوا أصحاب عمل لم يكونوا مثلنا ينامون النهار ويسهرون الليل كانوا يسهرون بالليل يناجون الله عزوجل ويغدون الصباح على أعمالهم يزرعون ويعملون في أموالهم يأتي الرجل منهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين فيأتي من شدة التعب فإذا غفى غفوة فأدركه الفطر وغربت الشمس وهو نائم ثم انتبه يحرم عليه أن يأكل و أن يشرب حتى تغرب عليه الشمس في اليوم القادم

أي يستمر نهاره وليله ونهاره وهو صائم لله عزوجل أنظر على شدة أنظر ماذا قاسوا، لكن لما كان من أجل الله هان عليهم في ذات الله في سبيل الله سبحانه وتعالى، قال البراء رضي الله تعالى عنه ثم إن قيس ابن صرمة غدا إلى عمله فكان صائماً فجاء في آخر يومه وقت الإفطار فقال لإمرأته هل عندكم طعام قالت لا أذهب لألتمس لك -انظر إلى الشدة التي كانت في بيوتهم يأتي عليهم رمضان ما عندهم طعام ولا شراب نحن اليوم حدث عن أحوالنا ولاحرج مايأتي رمضان إلا وأشياء رمضان عند الكثير من الناس موجودة أو على أقل القليل ماتغرب عليه الشمس إلا وعنده من الطعام والشراب والزاد الشيء الكثير- هذا يأتي إلى بيته يريد إفطاراً فتقول له إمرأته لا يوجد عندنا شي فنام رضي الله تعالى الله عنه وخرجت هذه المرأه رضي الله تعالى عنها تلتمس له شيئا فجاءت بشي معها فوجدته نائماً فقالت (خيبة لك) أي ماعاد يفيد أن توقظه ليفطر حتى وإن أيقظته يحرم عليه أن يأكل و أن يشرب انظر إلى ماتحملوا في سبيل الله تبارك وتعالى قال ثم غدا نهاره أي في اليوم الثاني صائما وغدا إلى مزرعته غدا إلى عمله حتى إذا انتصف النهار أغشي عليه المدينة شديدة الحرارة المدينة حرارتها شديدة وسمومها عظيمة وهو يعمل وهو صائمُ يومين على التوالي أغشي عليه وهذا شيء طبيعي يالله كم من إنسان في صحته لا يعمل لا يغدوا إلى هنا ولا إلى هناك هو في بيته في الظلال سواء وجد عنده شي أو لا يوجد عنده شي ومع ذلك تراه يتعمد انتهاك حرمة رمضان

فيأكل ويشرب وقد ربما بعضهم يخزن ويدخن نسأل الله السلامة والعافية أي رفعة للأمة نرجوه أي تفريج للكربات نأمل ونحن على هذه الأحوال انتهاك لمحارم الله وتعد لحدود الله واستخاف بحقوق الله وبفرائض الله، وقد قال أحد السلف ما استخف قوم بحقوق الله إلا سلط الله عليهم من يستخف بحقوقهم

فلما اغشي عليه أُخبِر الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء اليسر من الله عزوجل ونزل قول الله عزوجل:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾

انظر جاء التخفيف لما حصل الانقياد رفعت الكربات لما حصل التسليم والقبول لفرض الله الذي فرضه الله عزوجل عليهم فهذا نوع من كشف الكربات من أسباب كشف الكربات وانفراج المضايق على العباد أن نكون منقادين لله مسلمين لأمر الله ممتثلين لشرائع الله في سرائنا وفي ضرائنا في عسرنا وفي يسرنا في منشطنا وفي مكرهنا في أحوالنا كلها نكون عباداً لله ﴿ فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾

ونمتثل لقول الله عزوجل ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾.

هاهو رجب قد أتي وطاف وشعبان في الإنتصاف وتفصلنا عن رمضان ليال خفاف ألا فأعدوا العدة عدة الإيمان ألا فأعدوا القوة قوة الصبر ألا فليكن معكم استعداد، استعداد التحمل على المشقة الحاصلة ألا فلتأخذوا النية الصادقة والعزيمة القوية على أن تصوموا شهر رمضان مهما بلغ الضيق مبلغه وحصل من الكرب ماحصل فأنت عبد لله سبحانه وتعالى كان الناس يخرجون في أسفارهم وغزواتهم لايجدون إلا تمرة يسدون بها جوعتهم وشربة ماء يروون بها عطشهم ومع ذلك كانوا لله أحياء وأمواتا وفازوا في الدارين وفازوا بدار الرضوان عند الرحمن سبحانه وتعالى

اسأل الله عزوجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يسلمنا إلى رمضان ويسلم رمضان لنا

اللّٰهُمَّ إنا نسألك من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللّٰهُمَّ بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أبقيتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا اللّٰهُمَّ انصرنا على من عادانا

اللّٰهُمَّ لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا يا ذا الجلال والإكرام

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

ربنا اغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه